« انت يا ... » ( صمت ) . « يا براز ناشف » ( لحظة ) . « يا حدث يا جانح » ويلفظ الحاء هامسة كالكوة المتسعة المطلة على خلاء مشجر ، ثم ينخط من منخاره بصوت مسموع . « يدك. اخرجها من سروالك . فاحت رائحتك كالسخلة الضارب . اراك . صحتك . غدا يطب بك داء الصفر . اترك دودتك » . ( صمت ) . الدود يتحرك بغير شكل . يتلوى . بطنه يلمع . الحزوز ببطنه خشبية اللون . الخشب واللمعان متقطع الفورمايكا . صحون من لهفة ما . كتل غير محددة ، كالبخار المشبع . « وشت . اشت خميس . ميس » . واحس بحرف السين يلفظ مجمعا كقبضة من العجوة .

ولما لم يتحرك خميس من تحت البطانية على السرير المجاور ، اصغى لعبد اللطيف بسمعه ، يتحسس انتظام نفس زميله المستلقي كالواجهة . « ايوه ، هكذا » .

واحس برغبة في ان يدعس فوق اصابع رجل خميس وقد ابتعد ابهامه العريض المقرو عن باقي اصابع قدمه التي بانت مفروشة من تحت البطانية . قدمه حتى الزر بيضاء بياضها الناصع اثار ، طفيفا ، عبدَ اللطيف . وفيما هو يرد الباب وراءه بلطف حدق ف الممر القائم بين غرف التلاميذ النائمين ليتأكد من خلوه من الاستاذ المشرف . ولدن تفكير في الجواب الذي سيقدمه في حالة ما اذا قبض عليه متسللا هكذا شعر برغبة في التبول كتمها وهو يتحسس قاع بطنه . يفركه بلطف . حرقة في المثانة هرش بعدها عقبه فذاب كحثل القهوة .

رفع صدره ومشى معتدلا صوب المراحيض. برأسه بوجيات تشتعل . يحس ببوجيات اخرى تسطم اذنيه . لم يعد يسمع غير وشيش صادر من داخله . اطار مملوء هواء فو طاقته يتحرك جوّاه دونما اكسات. وصل المراحيض. تخطاها . حاذى الحائط الواطئ قفز فوقه . تمسك بالانبوبة الغليظة المتصلة بالارض . افلت يده اليسرى للحظة وتحس مصباح اليد الصغير في جيبه . لحظة مشوشة. اسلاك عجلة دراجة تنقطع وتتشابك . وج نفسه يركض ازاء حائط المدرسة . لحظة ثم عاد يسير اعتياديا . وجد نفسه يمشي صو الباب الرئيسي . اقترب اكثر . عاد فجأة . تلفت للوراء صوب الباب . ارتسمت اللوح المعلقة والمكتوبة بالاخضر : « مدرسة الاحداث . وزارة الشؤون الاجتماعية » . احم بها معلقة خلف رقبته على عمودين غير منظورين . مضاءة بالنيون . « الاحداث » . الث

سرب من الاحداث . جانحين . يتصور حرف الثاء ملفوظا ملء الفم ، فيبتسم . مغرفة ذات يد معدنية طويلة مطلية .

عاد ليتصور اللوحة البارزة . اطارها به مسامير مدقوقة بالعكس . وعي مفاجىء . احس برأسه كنصف بطيخة . عدة صور تنتظم طوليا ، نحيفة . الصور مدهونة بطبقة مخاطية . اللزوجة والدبق . المني يتدفق برائحته . هو يرفع قدما ويخفض اخرى . عند قرنة سور المدرسة خفت ضوء لمبة الشارع كطبقة من الدهن القاتم فوق اكياس من التراب الحصوي . الطريق ضاق وانسد على بعد قليل . حبيبات من الرمل تنتشر تحت الارجل فتزحك . لم يتضايق . احساسه بشخص آخر اطول منه يسير الى جنبه وينظر اليه نزولا يزداد عرضا . الاحساس يقتم والصورة تهتز . يختفي الجسم . تبقى العينان تسيران محاذيتين الأعلى رأسه . لا ترمشان . يثني رأسه فجأة فاتحا عينيه متحديا . يعود ببصره ، يتظاهر ، مستسخفا تصرفه هذا .

حين كان يتسلق الانبوبة نقالة البراز والمحاذية للشباك المطل على منامة مدرّسات البنات الاحداث ، احس بدفء ضمن باطن كفيه . فكر بامكانية نزعها وسقوطه وتعلقه والوسخ وموته ومؤخرته تتهشم والمرض والجرذ والمدرّسة تستلقي على جانبها الايسر وقد تعرى ساقها . زهو ونشاط . دم في جبهته وعرق ينقف في رقبته . رفع يده يريد ان يقبض على حديد الشباك فلمح الدم احمر يسحّ ببطء وقد بان جرح صغير في آلية كفه كخط النايلون . لحس قليلا من دمه . احس بطعم الصدأ فبصق بعنف . وعلى حافة العارضة الحديدية المقامة عرضيا على القضبان المدقوقة طوليا عبر الشباك مسح كفه . بسبابته اليسرى دفع بلطف زجاج النافذة ليجده مغلقا . الضوء الواصل للغرفة من خلال زجاج النصف العلوي للباب يندلق شحيحا على وسط الغرفة ، فيبقى سرير المدرّستين شبه معتم . يتعللان بعتمة دخانية حبرية . انتظر هنيهة يسترجع انفاسه . لم يتلفت ليتحقق من عدم قدوم احد من الشرطة ، بل لز نفسه ضمن قرنة الشباك البارزة نوعا ما . وليتفادى طرف الخائف ، اخرج المصباح الصغير من جيبه وصوبه نحو طرف الغرفة الايمن . اداره قليلا ليستقر نوره قرب الوجه . تحقق منه وقد غطاه الشعر المنسدل . هي نفسها التي كانت في المرة السابقة تنام بالملابس الداخلية بدون بيجاما . الحرام الآن يلفها كلية بتعلى طرفه حتى يلامس الارض . مد رجله اليمنى على طولها لتساعده اذ يستدير قليلا . صوب المصباح تجاه الطرف الآخر . غباش يجلل السرير . اغمض عينيه لحظة ثم فتحهما وصوب وجهه من الشباك فاصطدم بقضيب بارد . المدرّسة الاخرى جسمها بكامله يتمدد تحت قميص نوم ينفتح عن صدرها . ازاح سريعا النور عن صدرها ونزل به نحو ساقيها . ها هناك . العنف الاسنان المصطكة والنصلات الحادة . اسنان منشار مجلخ . اعاد رجله

الممدودة وجلس القرفصاء شادا يده على الحديد . ادار النور قليلا بيـــده . رفعه قليلا . قرب بصره من الشباك . اعاد محاولة فتح الزجاج. هرش رقبته . ثم ركز ذهنه كالكلاليب على ساقيها العاريتين وطرف ملابسها الداخلية البائنة بحدودها . لحـــم التفاح والشورباء الوردية المتخثرة . اللهاث بعد رياضة الصباح . استاذ الرياضة الجلف ذو الشارب الرفيع بزناخـة يصيح دوما . هم يغمزون وهو يجعر . سيفتق . لو اصابها ، هي ، الفتاق ، ترى اين يبرز لها ؟ واعاد تصويب الضوء من مصباحه . انفرج فمه قليلا. سواد وخشونة . والاثارة تسري في بدنه ، يعيها ويرقبها كماء حمام ساخن يرتفع تحته وهو يقرفص في سطل مقعور . الماء يغمر حوضه ، صرته ، ثدييه . نغمشة في حلمتيه. بقبقة تحت ابطيه . رقبته . فتحتا منخاره . يغمض عينيه ويتحسس بنطلونه . يفك زري بنطلونه ، اللحم في يـده ساخن وهو ينهج ، وصور تنداح الالوان فيها تترى امام عينيه . الزوغان والالم واللذة القائمة على اسنان عجلة تدار باليـــد وصورة المدرّسة والاستسلام . فراغ ضمن اطار ولا حدوث . تركيز وثبات يصل درجة الغور. اغانٍ سريعة رتيبة تتلاشى الهوينى فتخلف وراءها جوا من العتمة المملوءة باشباح البصاق المتدلي على حيطان غير مصبوغة .

وتتكدس امام ناظره جرائد. المنشيتات فيها بارزة. «احد طلاب مدرسة الاحداث...» ولمح كلمة « الجانحين » بخط رفيع ، فانتقل تصوره سريعا الى جناح بريش قاس كالسهم . وتر وهندي احمر . شفته غليظة وزوجته عارية سوداء كلوح من الخشب المعاكس تمـوت بقرف . « احد طلاب » ( مرة اخرى ) « مدرسة الاحداث يسقط من فـــوق شباك مدرّسات البنات الاحداث على اثر علاقة مشبوهة مع احدى المدّرسات » . الكلمات بخط احمر وصورة له ، يراها ، وهو ممدد والدم يغمر سحنته كرغيف الكماج فيكاد يخفيها.

وكأن جيوشا من الحيوانات الشرسة قد فارقته فتركته مهدودا كحفرة مجوفـة محشوة بالقش المرشوش بالسكر المعقود . حاول ان يزرر بنطلونه غير انه عدل عن ذلك ، ومد رجله اليسرى حول الانبوبة الغليظة الموصلة للارض . وحين طب على الارض رفع بنطلونه وسار الهوينى . عالم آخر مبهم ذو طريق منفتحة مضاءة بنعومة غير انها تنحدر في البعيد الشرطة. ثلاثة منهم يقفون عند باب المدرسة. ينادونه. يلبيهم. ومن غير ان يتلفظ بكلمة يبادره احدهم بسوط. الكاوبوي. يقفز هو فيخطئه. يعاوده الشرطي. يخطئه مرة اخرى. يعمد هو بقبضته « الفولاذية » فيلكمه . تنخلع اصبعه الوسطى . بركبته يضرب مدير المدرسة على وجهه ، فيتأرجح ذاك ليقع على حبال فوق ستاد خشبي طري .

وفيما هو يقترب من حائط المدرسة مسح يده بلطف فوق البثور الاسمنتية على الجدار ثم شد قبضته المدلاة بجنبه بقسوة. ولدى احساسه بانه يقف عند حافة شباك استاذ الرياضة وقف ليتبول قبل ان يصعد الانبوبة خلسة الى منامته .